

يومية

30 مارس 2016

مهرجان تطوان الدولي
لسينما بلدان البحر الأبيض المتوسط

22

ضيف اليوم

جون ميشيل
فرودون
ناقد فرنسي



أهم ما في السينما أنها تظل لغزا

خبراء السينما المتوسطية يطالبون بهدم جدار برلين الهائي الذي يفصل بيننا

افتتاحية

درس سينمائي

كما قال الناقد السينمائي المصري أمير العمري، في الحوار الذي أجرته معه بومبة المهرجان، قبل يومين، فإن المهرجان لا يحق ولا يستحق أن يتحول إلى «زفة». كما لا يمكن اختزاله في عملية التقاط صور للنجوم وبذلاتهم وتسريحاتهم وفساتينهم فوق البساط الأحمر. إنما المهرجان نقاش حول السينما، وتعميق لهذا النقاش، بين مختلف صناعات السينما، إلى جانب طرف المعادلة الأساس، الذي هو جمهور السينما.

من هنا، يحرص مهرجان تطوان على تقديم برنامج ثقافي متعدد ومتنوع، يبدأ بتقديم «درس السينما»، وهو الدرس الذي نصطفي له، كل دورة، أشهر منظري ونقاد السينما في الفضاء المتوسطي. وفي مقدمة هؤلاء، يحضر معنا الناقد والسينمائي الإيطالي ماريو برينطا، أحد أصدقاء المهرجان، الذي حرص على إلقاء درس السينما في تطوان، منذ دورات. كما يحضر إلى المهرجان نقاد وكتاب آخرون لإلقاء درس السينما في تطوان. والهدف، في نهاية الأمر، هو أن يتحول المهرجان بأسره إلى درس سينمائي متوسطي، نعتصم إليه جميعا، ونتابعه عن كثب.



بعجزه «عن تصوير المتوسط لأنه بالغ الجمال والكمال». ويسترسل المتدخل في انتقاد صورة المتوسط في السينما، حيث يظهر إما كفضاء للمنع أو للانغلاق. يتعين إذن رفع تحدي تصوير المتوسط كفضاء للعيش المشترك.

من جهتها، فضلت المخرجة الإسبانية باز بينار الانطلاق من تجربتها الشخصية، ومزجت بين جوانب من سيرتها الذاتية والمهنية، محاولة إبراز الرؤية التي توجه أفلامها التي تتناول موضوع الهجرة، خاصة وأنها أندلسية المنشأ والأندلس أرض الضيافة والانفتاح. لهذا، تحارر بينار أن تعرض المأسى في قالب كوميدي، وتسدن البطولة إلى المرأة، سعيا إلى نسف بعض الكليشيهات.

أما الناقد الفرنسي لوران دوري، فقد فضل «الحديث عما لا نتقنه السينما المتوسطية»، واقترح تغيير عنوان الندوة ليصبح: عندما تقف السينما عند منتصف الطريق في تصوير مأسى المتوسط، وقد ركز على الهجرة، لأنها تكشف بوضوح هذا القصور في المعالجة. ففي نظره، إن السينما المتوسطية اختارت التوقف عند حدود النتائج ولم تهتم بالأسباب، ليتولد لدى المتلقي نوع من الانطباع بأن هناك قدرا أعسى هو المسؤول عن مأسى المتوسط. وذكر خوان خوسي طيليز، الصحافي والناقد الإسباني، في مداخلته بأن كلا من «وسائل الإعلام والسينما هما أداتان يصنع بهما صاحبهما ما يشاء، فإما أن يوظفهما في بناء فضاء عيش مشترك، وإما يستغلها لتقويض هذا البناء». وقد ختم بخلاصة تلخص في الحقيقة الرؤية التي صدرت عنها كل العروض: «إن كان المتوسط قد هجر متخيلنا، فعلى السينمائيين أن يهدموا سور برلين الهائي الذي ينتصب في وجه المتوسطيين».

احتضنت قاعة دار الصنائع ندوة في موضوع «علما تحكي السينما مأسى المتوسط». وإذا كان العنوان ينطوي على نوع من الإقرار بأن السينما فعلا تجعل من المأسى حكايات وصورا، فإن كل المشاركين أجمعوا على القول إن زوايا النظر التي ينطلق منها جل السينمائيين المتوسطيين في معالجة هذا الموضوع تشوبها الكثير من النقصان. وفي هذا الإطار، ميز محمد الأشعري، الكاتب المغربي ووزير الثقافة الأسبق، بين جانبين في تناول الموضوع المطروح للنقاش، وهما الحكاية والمأساة. وقد اختار الحديث عن الجانب الثاني، كما يتجسد في الهجرة التي يرى أنها «يصدد خلق جغرافيات جديدة، تنتشر على أرضها كتل بشرية مذورة للموت». نحن إذن أمام إفلاس أخلاقي لأوروبا التي لم تعد تتورع عن الحديث عن تدبير الهجرة، وتتفاوض حول عدد المهاجرين وطريقة توزيعهم. هكذا تتم في نظر الأشعري تغذية ثقافة الخوف، مما يفرض على إفريقيا ثقافي عام. ويخلص الأشعري إلى القول إن «على السينما أن تصطلع بدورها على هذا المستوى، كي تعمل على مساهمة هذا الإفلاس الشامل، وتضع أوروبا أمام مسؤولياتها التي أصبحت تتصلب منها». من جانبه، يلاحظ جان ميشيل فرودون، الباحث والكاتب الفرنسي، أن «السينمائيين المتوسطيين يديرون ظهرهم للبحر»، إلى درجة أن أحسن الأفلام التي صورت المتوسط، هي من توقع أناس من خارج هذا الفضاء. والسينما في نظره تمتلك «تلك القدرة على إنتاج تمثيلات مشتركة في مواجهة المأسى التي تعصف بالبحر الأبيض المتوسط». ومن الضروري القضاء على بعض الصور النمطية عن منطقتنا. وقد اعترف أحد المخرجين ساخرا

ألبوم



بلسرة



في انتظاركم



سكان السينما



توضيح



قدم الناقد الفرنسي لورون دوري إلى المهرجان، حاملا معه كتابا بعنوان «سلطة هوليوود»، للأمريكي ماثيو ألفورد، وقد ترجم إلى الفرنسية، وسينشر قريبا، بمقدمة كتبها لورون دوري. في ندوة «عندما تحكي السينما مأسى المتوسط»، أشهر دوري هذا الكتاب، وهو يتساءل: من منكم يتصدى لهذا الكتاب المهم بالترجمة إلى العربية؟

تهي إدارة المهرجان إلى علم الجميع، ومن هذه الزاوية، أنها لا تتحمل مسؤولية عدم عرض فيلم «رجال من طين»، لمخرجه مزاد بوسيف، الذي خرق الاتفاق مع مؤسسة المهرجان، ولم يقدم لنا نسخة الفيلم بصيغة رقمية DCP، واصطحب معه نسخة عادية لا تصلح للعرض في قاعة السينما، ولا للمشاركة في المسابقة الرسمية للمهرجان.

جون ميشيل فرودون: أهر ما في السينما أنها تظل لغزا

ضيف اليوم



السينمائي، في ظل أزمات محققة بهذا العالم، بما فيها أزمة سينمائية أيضا؟

.. كلمة «Krisis» تعني «الانزياح والفرق والمسافة». يخلق النقد انزياحا ومسافة، قد تكون ذات طابع صراعي (وهو معنى الكلمة الفرنسية crise) ولها علاقة أيضا بكلمة «منتقد»، في عبارة «هذا الشخص ينتقد كل شيء، مثلا. بيد أن النقد قد يكون أولا فعل عطاء وكرم، ليقوم على الاستضافة داخل هذا الفضاء الذي يخلقه ويشرح أوبوابه بفضل قوة الأداة التي يتوسل بها، وهي الكتابة. ليست هناك أزمة للسينما، أو بالأحرى إن السينما في أزمة دائمة، معنى ذلك أنها على قيد الحياة.

.. هنالك من يرى بأن النقد قد ظل ممارسة علمية محكمة، يمارسها المتخصصون، ولا يقرأها اليوم سوى المتخصصون في الغالب. ألا ترى أن الحاجة ماسة اليوم إلى صحافة سينمائية، بالنظر إلى أهميتها في خلق نقاش حول السينما، وفي تجديد الحوار والنقاش ما بين الفيلم والقارئ؟

.. لا أتفق بتاتا مع هذا الرأي. هناك نقد يصدر في الجرائد وينشر على الإنترنت، على يد شباب غالبا ما يكتبون نقدا بالغ الأهمية. لا نحتاج أن نكون متخصصين لنكتب نقدا سينمائيا. يكفي أن نحب السينما ونحب الكتابة. ومن الخطأ القول إن النقد السينمائي لا يقرأه سوى المختصين.

.. السينما عمل جماعي ومؤسساتي، وهي ليست إبداعا فرديا. إنها نظام متكامل، صناعة، تستغل وفق ما تسميه «اقتصاد السينما». سنة 2014، تحدثت عن أسباب ارتفاع الإقبال على دور السينما في فرنسا، أو استقراره النسبي، في حدود 200 مليون تذكرة، وذلك بسبب وجود سياسة سينمائية، في هذا المجال، تلجأ إلى مجموعة من الإجراءات؟ ما هي الإجراءات المطلوبة للنهوض باقتصاد السينما؟

.. فيما يخص ارتياد القاعات السينمائية بفرنسا، العدد هو 200 مليون وليس 20 مليون تذكرة، أضف إلى ذلك بطبيعة الحال عدد أولئك الذين شاهدوا أفلاما خارج القاعات السينمائية. يجب أن تكون هناك سياسة ثقافية تعمل على التعريف بأفلام مختلفة والترويج لها، في القاعات السينمائية وفي القنوات التلفزيونية. يجب أيضا أن تحضر السينما بقوة في وسائل الإعلام (وليس فقط النجوم). يجب أن نتحدث عن السينما في المدرسة. ويجب على المسؤولين السياسيين والثقافيين والتربويين أن يساهموا في التعريف بأهمية السينما، كوسيلة للترفيه، ولتفهم العالم الذي نعيش فيه، ولتفهم تنوع البشرية، وفهم التاريخ والجغرافية واللغات الأجنبية والموسيقى، وغير ذلك. من بين مظاهر أصالة السينما وتقديرها كونها ممارسة جماعية، وإن كان الفيلم نتاج صياغة تقوم على رؤية مؤلف فرد،

في كتابيك الأخيرين «فن السينما» و«ما الذي تفعله السينما»، انشغلت بالبحث عن أسرار السينما، هل اكتشفت سر السينما، أم أن هنالك أسراراً لا تنتهي؟ .. للسينما ألف سر وسر: أسرار تقنية، وأسرار فنية، وأسرار مالية، وأسرار بشرية وعاطفية، وأسرار سياسية. وفي كتابي، أعرض العديد من الأسرار التي أمطلت اللثام عنها، وأسراراً أخرى لم أكتشفها، ولكنني أعمل على تقريبها من الناس وجعلهم يطلعون عليها، حتى وإن كانت معروفة. ولكن ليس هذا هو الأهم. إن الأهم في نظري هو أن السينما تظل لغزا. وهذا اللغز، لا يجدر الكشف عنه، أو السعي إلى الكشف عنه. أولا لأن ذلك مستحيل، وثانيا، لأن اللغز هو الذي يمنح السينما جمالها وأهميتها.

.. مرة أخرى، نريد أن نطرح عليك سواليا سبق أن عرضته في كتابك «النقد السينمائي» سنة 2008. نقصد سؤال: «لماذا يصلح النقد السينمائي؟» .. يصلح النقد السينمائي في أحسن الأحوال لمواكبة لغز الأفلام والأسرار التي تحف بها، وعرضها وتقاسمها مع قارئ النقد السينمائي، أكان شاهد الفيلم، أم أنه سيشاهده فيما بعد، أم أنه لن يشاهده أبدا. النقد السينمائي لا يصدر أحكاما، كما تفعل المحاكم، ولا تمنح نقطا، على غرار المدرسين، إنه فن محبة السينما، والعمل على نشر هذا الحب، بفضل الأدب. بطبيعة الحال، لا يتعلق الأمر بعشق كل الأفلام، بل بمحبة السينما. وباسم هذا الحب، من المشروع أن يظهر النقد السينمائي كيف أن بعض الأفلام تخون السينما، وتحقن شخصياتها، وكتاباتها، وبالتالي جمهورها.

.. في هذا الكتاب ترى أن فعل النقد بالفرنسية cri-tique مشتق من كلمة تكل على الأزمة في أصلها اليوناني krisis. ما الذي يمكن أن يقدمه النقد

وإن كان هذا المؤلف لا يمكن أن يعبر وحده..... . ألا ترى أن تحديات السينما لا تكمن في «مشاهدة السينما»، فقط، بل في «متابعة السينما»، ما يجعل السينما في حاجة ملحة إلى خلق نقاشات وسجلات وصراعات فكرية ونقدية بناءة، تستثير الجميع لشاهدة السينما ومتابعة السينما؟

.. ولكن الأفلام، كل الأفلام تجعل الناس يتحدثون ويتحاورون، وهذا لا يقتصر هذا المثقفين، بل إن كل الناس يتناقشون حول الأفلام مع أصدقائهم، ومع أفراد أسرهم، وزملائهم في العمل. وهذا لا يمنع من القول إن من المفيد، إن أمكن ذلك، خلق فضاءات يمكن فيها لهذه النقاشات أن تذهب أبعد، وتصبح أكثر ثراء. ولا شك أن الأفلام تمثل نقطة انطلاق لتفكير عميق في القضايا وتبادل الرؤى والآراء بشكل مثمر ومفيد.

.. سبق لك أن نبهت إلى خطورة غياب قاعات للعرض السينمائي في العالم الثالث، وخاصة في منطقة المغرب العربي. هنا في المغرب، يتواصل زريف إغلاق القاعات السينمائية الواحدة تلو الأخرى. ما هو الحل في نظرك لوقف زريف إغلاق هذه القاعات؟ .. يبدو لي أن المغرب يعتمد سياسة سينمائية تنقصها التوازن، حيث تبدل جهود كبرى في الإنتاج، وفي المقابل، يتم إهمال القاعات السينمائية. ومن المستحيل في المدى المتوسط أن ينشأ نشاط سينمائي حي وفعال، في غياب سياسة ثقافية في مجال السينما. وفي المغرب، تم الزهان أساسا على الرفع من الإنتاج كميًا، وعلى تطوير الجانب الاقتصادي، على أساس أن الكم سيؤدي إلى الكيف والجودة. وأظن أن هذا الأمر لم يتحقق بالشكل المطلوب، والكافي. ولكن، ربما كنت في هذا الجانب أفقر إلى المعطيات والمعلومات الكافية.

.. وماذا عن علاقة جون ميشيل فرودون بالسينما المغربية. وما هي الفرص التي كتبت لك للقاء بالسينما المغربية؟ .. في مستهل القرن الواحد والعشرين، كان لدي أمل كبير في تطور السينما المغربية، حيث تميزت تلك العشرية بأمور تستحق الإشادة، خاصة على مستوى تطور المهرجانات وتكاثرها. ومع ذلك، سأقول إن الأفلام التي شاهدتها لم تترني في غالب الأحيان كثيرا، ربما مرد ذلك أن الفرصة لم تواتني لمشاهدة أفلام هامة. لهذا من الصعب التعميم، ولا يمكنني الحديث هنا سوى انطلاقا من تجرّبي الشخصية. شاهدت أفلاما مغربية وزعت في فرنسا، وبعضها عرض في مهرجانات دولية شاركت فيها. ومع ذلك، أعتزف أنني أفقر إلى المعطيات الكافية لإصدار أي حكم حول السينما المغربية عموما.

يصلح النقد السينمائي في أحسن الأحوال لمواكبة لغز الأفلام والأسرار التي تحفل بها، وعرضها وتقاسمها مع قارئ النقد السينمائي

فيلم اليوم: تدرج قصة واقعية تتجاوز الخيال ولا تتجاوز الحصار

برنامج اليوم

صفية الثرثرة التي لا تكف عن الحديث عن الآخرين، لكن زوجها يشعها صريبا، وثمة أيضا البورجوازية المتعالية والمرأة الحامل على وشك الولادة. ويتمرن الفيلم على تسلط حركة حماس وتثبيتها بالسلطة والحكم ولو بقوة السلاح.

وقد جرى تصوير الفيلم في العاصمة الأردنية عمان، وتُدور مجمل أحداثه في داخل الصالون. ما يعكس جو الاحتراق والحصار الذي يعاني منه الناس في غزة.

وبينما كان الأخوان ناصر يستعدان لتصوير قصتهما، اندلعت الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة صيف العام 2014 ما دفع بكثيرين إلى الطلب منهما معالجة الحرب في فيلمهما. معظم الممثلات في فيلم «ديغرايد» من غير المحترفات، وقد أدى بعضهن أدوارا للتلفزيون والسينما، من بينهن مثال عوض وهدي الإمام التي تألفت في فيلم آخر روائي قصير هو «أفي ماريا» شارك في المسابقة الرسمية لمهرجان كان ضمن فئة الأفلام القصيرة.



يستند فيلم «تدرج» إلى قصة واقعية جرت أطوارها في غزة، قبل عشر سنوات من اليوم. وقد حظي الفيلم بشرف العرض في مهرجان كان السينمائي في دورة 2015

عالم من الفوضى التامة والاختناق الكامل يقدسه الأحوال لتروم طرزان وعرب ناصر في فيلم «تدرج» الذي تدور أحداثه في صالون ساتي في قطاع غزة ويطلائه امرأة من رواد المركز الذي تملكه امرأة روسية متزوجة من فلسطيني. في الصالون تجلس الحماة والعروس وسبعينا كل خلفاتها، المتدينة والمطلقة، المتحررة والعاشقة التي تفقد حبيبها. وهناك

سينما أبنياد

- 16:00 ساعة نهر بانك، بانوس كاركانيفاتوس، اليونان، 2015، 100د.
- 18:30 ساعة تدرج، عرب وطرزان ناصر، فلسطين، 2015، 80د.
- 21:30 ساعة نوار، هالة خليل، مصر، 2015، 122د.

سينما إسبانيول

- 15:00 ساعة برنامج سينما التحريك
- 17:00 ساعة البرنامج الثاني للأفلام القصيرة.

قاعة المعهد الفرنسي

- 15:30 ساعة توك توك، رومانو سعد، مصر، 2015، 75د.
- 18:30 ساعة هدف طنجة، خوان كوتبي، إسبانيا، 2015، 77د.

فضاء المعهد الفرنسي

- 18:30 ساعة مائدة مستديرة «أندريه تيشيني: سينمائي متعدد الأوجه».